■ الباب الرابع عشر

المسلمون السود

THE AUTOBIOGRAPHY OF MALCOLM X

في ربيع عام تسع وخمسين وتسعمائة وألف – قبل عدة أشهر من حادثة الأخ جونسون هينتون التي نبهت جيتو هارلم الأسود إلى وجودنا – اتصل بي ذات صباح صحفي زنجي يدعى لِوي لوماكس كان يسكن في نيويورك وسألني إن كانت جماعتنا على استعداد للتعاون في تصوير فيلم وثائقي عنا ليظهر في برنامج مايك والاس التلفازي الذي يركز على المواضيع العامة المثيرة للجدل. أخبرت لوي لوماكس أن شيئاً مثل ذلك من الطبيعي أن يراجع فيه صاحب الشرف إلايْجا محمد فطار لوماكس إلى شيكاجو لاستشارة مستر محمد الذي سأله بعض الأسئلة وحذره من الأشياء التي يجب تحاشيها قبل أن يوافق على فكرة الفيلم.

بدأ المصورون يلتقطون مشاهد لجماعة الإسلام بالقرب من مساجدنا في نيويورك ، شيكاجو وواشنطن د. س. كما صورت مشاهد لمستر محمد وبعض أئمته بمن فيهم أنا ونحن نلقي بعض الدروس لمستمعين سود ونعرفهم بالحقائق عن الرجل الأسود مغسول المخ وعن الرجل الأبيض الشرير.

في حوالي نفس الفترة اختار طالب دكتوراه في جامعة بوسطن يدعى س. إريك لنكون أن يكتب رسالته عن جماعة الإسلام . ما أثار اهتمام لنكون ، كان موضوع كتبه أحد طلبته في العلوم اللاهوتية عندما كان لنكون يُدرِّس في كلية كلارك بمدينة أطلانطا بولاية جورجيا في العام السابق وقد وضع لنكون مقدمة تلك الورقة في

كتابه وسأسجلها هنا نقلاً عنه. كانت تلك المقدمة ببساطة هي قناعة واحد من عديد من طلاب أطلانطا السود كان كثيراً ما زار معبدنا المحلي رقم ١٥ هنالك .

كتب ذلك الطالب ما يلي : « الديانة المسيحية لا تتناسب مع طموح الرجل الزنجي للكرامة والمساواة في أمريكا . لقد أعاقته حين كان يجب أن تساعده ، كانت تتهرب من المواجهة بينما يحتم الواجب الخلقي أن تكون صريحة . لقد فرقت المسيحية بين أتباعها على أساس اللون بينما هدفها المعلن هو الأخاء العالمي تحت راية يسوع المسيح . الحب المسيحي هو حب الرجل الأبيض لنفسه ولعنصره . أما بالنسبة لغير البيض فالإسلام هو أملهم في العدالة والمساواة في العالم الذي علينا بناؤه من أجل الغد».

قام لنكون بعد ذلك ببحث مبدئي فسحره الموضوع وتمكن من الحصول على بعض المنح المالية ووجد الناشر المشجع فوسع رسالته العلمية لتصبح كتاباً .

في داخل جماعتنا الصغيرة كان لهذين الحدثين – برنامج تلفازي وكتاب عنا – صدى كبير . أصبح كل مسلم يتطلع بسعادة إلى انتشار تعاليم مستر محمد وسط الأخوة والأخوات السود في جميع أرجاء أمريكا وبين الشياطين البيض أيضاً وذلك بواسطة جهاز الرجل الأبيض الإعلامي الواسع النفوذ والانتشار .

من جانبنا قمنا بمجهودات محدودة لاستخدام قوة الكلمة المطبوعة . كنت قبل ذلك بمدة قد قمت بزيارة لمستر جيمس هيكس محرر صحيفة أمستردام نيوز التي تنشر في هارلم فأكد لي أن أي صوت في مجتمعنا يستحق أن يسمع . بعد ذلك بفترة وجيزة خصص العدد الأسبوعي من **أمستردام نيوز** عموداً أكتبه أنا ثم وافق مستر محمد على أن يشغل ذلك العمود فانتقلت بعمودي للكتابة في صحيفة لوس أنجلوس **هيرالد ديسباتش** وهي جريدة زنجية أخرى. لكنني كنت أتشوق إلى إصدار جريدة خاصة بنا نملأها بأخبار جماعتنا الإسلامية .

بعثني مستر محمد في عام ١٩٥٧ إلى لوس أنجلوس لتنظيم معبد هناك وما إن انتهيت من ذلك إلا وقمت بزيارة جريدة **الهيرالد ديسباتش** التي تصدر من هنالك وبدأت أقوم ببعض الأعمال هنالك . تركوني أراقب عملية إصدار جريدة عن كثب . لقد حباني الله بميزة وهي أنني إذا راقبت شيئاً مرة واحدة أستطيع عادة تعلم طريقة عمله من تلك المرة الواحدة . « الالتقاط » السريع من أهم قوانين البقاء في الشوارع التي كنت أحد زعرانها .

اشتريت آلة تصوير مستعملة بعد أن عدت إلى نيويورك ولا أدري كم فيلماً استهلكت قبل أن أتمكن من أخذ لقطات مقبولة وكنت أكتب بعض الأخبار عن جماعتنا الإسلامية في كل فرصة أجدها . كنت أقضي يوماً كل شهر مقفولاً في

غرفة وأنا أجمع المواد والصور التي عندي لأقدمها لأي طابع أتفق معه لإخراج جريدة أسميتها محمد يتكلم يبيعها الأخوة المسلمون في شوارع الجيتو . لم أكن أدري يومها أنه سيأتي يوم يمنع اسمي من الظهور في الجريدة التي أنشأتها بيدي وذلك بسبب الغيرة التي بدأت تأكل في منظمتنا .

على أية حال كانت الشهرة في طريقها إلينا عندما أرسلني مستر محمد في رحلة إلى أفريقيا لمدة ثلاثة أسابيع . وبالرغم من صغر جماعتنا في ذلك الوقت بعثت بعض الشخصيات الأفريقية والآسيوية كلمة إلى مستر محمد يثنون فيها على جهوده لإيقاظ الشعب الأمريكي الأسود والنهوض بوضعه . أحياناً كانت الرسالة تتم بواسطتي إذ أنني قمت بزيارة مصر والسعودية ثم السودان ونيجيريا وغانا كمبعوث لمستر محمد .

غالبًا ما تسمع كثيراً من الزنوج اليوم يشتكون من أن تلفاز ومذياع وإعلام الرجل الأبيض عامة هو الذي دفع بالمسلمين إلى المسرح العالمي . لن أغالط في ذلك فهم محقون تماماً . أننا حتى في أمة الإسلام لم يتوقع أي منا أن يحدث ما بدأ يحدث .

في أواخر عام ١٩٥٩ أذيع البرنامج التلفازي الشهير : «البغض الذي أولده البغض»... اختير ذلك العنوان بعناية ووضع بين مناظر مثيرة ... مستر محمد وأنا وآخرون نخطب ... وجوه صارمة لرجال سود ... شباب ثمار الإسلام ... نساء مسلمات محجبات من كل الأعمار في رداء أبيض ... مسلمون في مطعمنا وأعمالنا التجارية الأخرى ... مسلمون وسود آخرون يدخلون ويخرجون من معابدنا .

كل جملة وضعت بطريقة لتزيد الصدمة . وكما قصد المخرجون ، تجمد الناس في مقاعدهم عندما انتهى البرنامج . كانت ردة فعل الجمهور مماثلة لما حدث في عام ١٩٣٠ عندما أثار أورسون ويلز الفزع في أمريكا بإعلانه خبراً من المذياع عن غزو رجال من كوكب المريخ لكوكب الأرض وقدمه بطريقة مثيرة وكأنما هو حقيقة .

لم يقفز الناس من النوافذ بعد برنامج « البغض » مثلما قفزوا عند سماع الغزو المريخي للأرض لكن كان هنالك سيل من ردود الفعل واعتقد أن عنوان البرنامج «البغض ... البغض» هو السبب الأساسي لذلك . مئات الألوف من سكان نيويورك ، بيضاً وسوداً ، كانوا ينادون لبعضهم : « هل سمعت بذلك ؟ هل رأيت ذلك ؟ الدعوة لكراهية الرجل الأبيض ! ».

تلك واحدة من صفات الرجل الأبيض السلوكية فيما يختص بالرجل الأسود . الرجل الأبيض يحب نفسه لدرجة أنه يستغرب عندما يكتشف أن ضحاياه لا تشاركه رأيه المغتر عن نفسه . لقرون عديدة كان المتوقع من الضحايا السود ،

الضحايا المستغلين والمعذبين أن يبتسموا ويتسولوا ثم ينافقوا ويرددوا « نعم سيدي » وكان كل شيء على ما يرام في نظر البيض . أما الآن فقد تغيرت الأمور . كانت الصحف البيضاء في المقدمة وكتابات محرريها ومعلقيها تقول أشياء مثل : « مخيف » ... « رسل الحقد » ... « تهديد العلاقات الطيبة بين الأجناس » ...

« الانفصاليون السود » ... « العنصريون السود » وما شابه ذلك .

وقبل أن يجف المداد في الصحف اليومية بدأت كبرى المجلات الأسبوعية القومية تردد : « رسل البغضاء » ... « الباحثون عن العنف » ... « العنصريون السود » ... « الفاشيون السود » ... « أعداء المسيحية » ... « المؤامرة الشيوعية ».

خرجت هذه من مطابع أكبر شيطان في التاريخ البشري وبعد ذلك قام الرجل الأبيض المستفز بخطواته التالية :

منذ أيام الرق احتفظ الرجل الأبيض دائما ببعض الزنوج اختارهم بعناية وجعلهم أحسن حالاً بكثير من جماهير السود المسحوقة التي تكد تحت الشمس في الحقول . اختار الرجل الأبيض زنوج « الدار » و « الساحة » هؤلاء للعمل كخدمه الخصوصيين وكان يرمي إليهم بكثير من الفتات من مائدته بل تركهم يأكلون في مطبخه . كان دائماً يعتمد عليهم ليشعروه بالرضا عن نفسه وليحتفظ بصورته عن نفسه كشخص خيِّر وصالح مستقيم . كان السيد الجيد لا يسمع إلا ما يريد من أفواه «زنوج الدار » و « الساحة » هؤلاء . « إنك لسيد طيب وممتاز » أو « أواه ! يا سيدي . أولئك الزنوج في الحقول جد سعداء بوضعهم ، ولم لا ؟! إنهم لا يملكون الذكاء الذي يستحقون معه أن تفعل لهم أكثر من ذلك ، يا سيدي. »

نعم انتهى عهد الرق ولكن زنوج الدار والساحة ما زالوا موجودين ، فقط بطريقة مختلفة ، وذلك كل ما في الأمر . عندما يرفع الرجل الأبيض سماعة هاتفه ويتصل بزنوج « داره » و « ساحته » يجد أنه لا يحتاج حتى لتلقين هؤلاء الالعوبات ما يقولون . لقد شاهدوا البرنامج التلفازي وقرأوا الأخبار في الصحف ثم بدأوا في تحضير تصريحاتهم . كانوا يعرفون ما عليهم القيام به . لن أسميهم بأسمائهم ولكنك إذا أعددت قائمة بأسماء من يسمون بقادة الزنوج في عام ١٩٦٠ تكون قد سميت من بدأوا يهاجموننا نحن زنوج الحقل ووصفونا بالجنون لأننا ذكرنا السيد الأبيض بسوء .

« هؤلاء المسلمون لا يمثلون جماهير الزنوج». تلك كانت أول كلمة قالوها ليؤكدوا للرجل الأبيض أنه ليس ثمة ما يدعوه للاهتمام بزنوج الحقل في الجتوات . «دعوة حقد غير مسئولة » ... « صورة سيئة للزنوج في الوقت الذي بدأت فيه العلاقات العنصرية تتحسن » كانوا يتزاحمون لكي تنشر الصحف حديثهم وهم يقولون

أشياء مثل : « عنصرية عكسية مخجلة » ... « تشبه سخيف بالعقيدة الإسلامية القديمة » ... « زندقة ضد المسيحية» اشتبكت الخطوط في هاتف مطعم معبدنا الصغير حتى كدنا نظن أنه سينفجر في حائطه وكادت سماعة الهاتف أن تلتصق بأذني من الحديث لمدة خمس ساعات متوصلة . كنت أنصت إلى عشرات الصحفيين والمذيعين ورجال التلفاز وهم يتصلون ليعرفوا تعليقنا على هجوم «الزعماء» السود الذي يردده الصحفيون لنا وأدون أنا كل ذلك في مذكرتي . أو كنت أتحدث مع مستر محمد وهو في شيكاجو ، أقرأ له من مذكرتي واستفسر عن تعليماته . لم أكن أفهم كيف يحتفظ مستر محمد بتماسكه وصبره أمام كل ذلك . أما أنا فصعب عليَّ تمالك نفسي .

بطريقة ما اكتشفوا الرقم السري لهاتفي وصارت زوجتي بتي لا تكاد تضع السماعة إلا ليرن جرس الهاتف من جديد وحيثما ذهبت كان جرس الهاتف يرن . من الطبيعي أن المحادثات كانت موجهة لشخصي بصفتي منستر معبد نيويورك ونيويورك مركز الإعلام الرئيسي . بدأت المحادثات تأتي من أماكن بعيدة ، من سانفرانسيسكو إلى ولاية مين ... من لندن وباريس وستوكهولم حتى كنت أرى بتي أو أخ من المسلمين يحاولون تملك أعصابهم وهم يمدون أيديهم لي بالهاتف وأنا نفسي لم أعد أصدق . من الأشياء الطريفة في كل هذه الجلبة والشيء الذي لفت انتباهي بسرعة هو أن الأوروبيين لم يرددوا مسألة البغضاء هذه كثيراً . الرجل الأمريكي الأبيض وحده هو المصاب بهاجس الحقد هذا . لقد كان واضحا لي أنه مذنب بكرهه للزنوج .

« مستر مالكوم إكس ، لماذا تعلم الناس الحقد والعنجهية السوداء ؟» كنت كلما أسمع ذلك أرى النار أمامي ويشتعل شيء في داخلي . عندما كنا نحن الزنوج نتكلم عن « الشيطان الأبيض » لم نكن نقصد أشخاصاً بعينهم وانما كنا نقصد شيئاً مجرداً والآن ها هو ذا الشيطان الأبيض يتحدث من الهاتف مع كل حساباته وبروده وحيله وجرأته وخدعه عن استقامته . صارت تلك الأصوات بالنسبة لي أصوات شياطين حية تتنفس .

من جانبي كنت أزيد النار اشتعالاً . « الرجل الأبيض مذنب بالعنجهية البيضاء ولن يستطيع إخفاء ذنبه باتهام إلايْجا محمد صاحب الشرف الرفيع بأنه يُعلّم الحقد والمنهجية . كل ما يقوم به مستر محمد هو أنه يحاول أن ينهض بعقلية الرجل الأسود وبأوضاعه الاقتصادية والاجتماعية في هذا البلد ».

« إن الرجل الأبيض المذنب لا يدري ما يريد . تعرض أجدادنا الأرقاء للقتل عندما كانوا يدعون » للاندماج « في المجتمع الأبيض والآن عندما يتحدث مستر محمد عن

« الانفصال » يسمينا الرجل الأبيض « بدعاة حقد » و « بالفاشيين ».

« الرجل الأبيض لا يريد السود . أنه لا يريد السود الذين يتطفلون عليه . أنه لا يريد هذا الرجل الأسود الذي يعري وجوده ويضعه أمام العالم ليراه على حقيقته ! فلماذا إذن تهاجمون مستر محمد ؟ » كانت المرارة في صوتي لأني كنت أحس بالمرارة .

« كيف للرجل الأبيض أن يسأل الرجل الأسود إن كان يكرهه ؟ ذلك مثل حال مغتصب يسأل مغتصباً أو ذئب يسأل حملاً « هل تكرهني ؟» ليس هنالك من مبرر أخلاقي يجعل الرجل الأبيض يتهم أي شخص بالكراهية ».

« عندما تلدغ الأفعى أسلافي ثم تلدغني أنا أيضاً فأحذر أطفالي منها ، كيف تبدو تلك الأفعى وهي تتهمني بأني أنشر الكراهية ؟ ».

كان أولئك الشياطين يأتون ويسألونني : « مستر مالكوم اكس ، لماذا يتدرب أتباعكم من شباب ثمار الإسلام على الجودو والكاراتيه ؟» يبدو أن صورة الرجل الأسود وهو يتعلم أي شيء يوحي بالدفاع عن النفس كانت كافية لتخيف الرجل الأبيض . كنت أقلب السؤال على رأسه وأقول لهم : «ما الذي يجعل الجودو والكاراتيه تصبحان نذير شؤم فجأة لمجرد أن الرجل الأسود أصبح يتدرب عليهما ؟ في كل أرجاء أمريكا ، في جمعيات الكشافة كما في جمعية الشباب المسيحي ، في جمعيات أصدقاء الشرطة وحتى جمعيات الشابات المسيحيات ، في كل هذه الأماكن يتدرب الشباب على مصارعة الجودو . ومع كل ذلك لم يثر أحد الأمر أما الآن والسود يتدربون عليها أجدكم تسألون . أنه حتى الطفلات في المدارس يتعلمن الجودو لحماية أنفسهن ».

« كم عدد أعضاء منظمتكم يا مستر مالكوم ؟ القسيس شِكِنوينج يقول أن عددكم لا يتعدى أصابع اليدين ؟» كانوا أيضاً ينقلون إلينا حديث القسيس شَكِنوينج عن عدائنا للمسيحية وحينها كنت أرد الصاع صاعين قائلاً : « المسيحية هي ديانة الرجل الأبيض . الكتاب المقدس وتفسير الرجل الأبيض له كان أكبر أداة عقائدية في يد الرجل الأبيض لاسترقاق ملايين البشر من غير البيض . في كل بلد غزاها الرجل الأبيض بمدافعه ، كان يمهد الطريق لذلك ويريح ضميره بحمل الإنجيل وتفسيره بطريقته التي تدعي أن الآخرين ملحدون ووثيون أولاً ثم يرسل مدافعه ومن خلفها المبشرون يمشطون المكان ».

كان الصحفيون البيض ينعتوننا والغضب يفور في أصواتهم بالدهماويين (الديماجوجيون) وكنت أستعد لهم بعد أن يتكرر السؤال مرتين أو ثلاث .

« دعونا نرجع إلى زمن الإغريق ومن ذلك تدركون أن أول شيء ينبغي عليكم

معرفته عن كلمة ديماجوجي (دهماوي) هو أنها تعني معلم الناس ولننظر إلى بعض الدهماويين . أعظم معلم أغريقي ، سقراط ، قُتل لاتهامه بالدهماوية . يسوع المسيح وضع على الصليب لأن فارسيي زمنه كانوا ينفذون قانونهم ولا يتبعون الروح المقدس . أما فارسيوا هذا الزمان فيكيلون التهم محاولين تحطيم مستر محمد وينعتونه بأنه دهماوي متعصب ومعتوه. ماذا عن غاندي ؟ الرجل الذي وصفه شيرشل بأنه « درويش صغير عريان » ، رفض الطعام في السجن البريطاني . ومع ذلك وقف من خلفه ربع بليون شخص ، شبه قارة بأكملها ، ولووا ذنب الأسد البريطاني ! ماذا عن جاليلو الذي وقف أمام معذبيه وقال أن الأرض فعلاً تتحرك ! ثم ماذا عن مارتن لوثر وهو يعلق نظريته بمسمار على باب الكنيسة الكاثوليكية شديدة البأس ، التي نعتته بالزندقة ؟ أننا أتباع صاحب الشرف إلايْجا محمد نعيش في الجيتو مثلما كان أتباع المسيح يعيشون كالنمل الأبيض في سراديب الموتى والكهوف وهم يحفرون مقبرة الإمبراطورية الرومانية العظمى شديدة المراس ».

مازلت أذكر المحادثات الهاتفية الساخنة مع هؤلاء المخبرين وكأنما حدثت بالأمس . كان الصحفيون غاضبين وكنت أنا في غضب . عندما كنت أغوص في التاريخ كانوا يحاولون جري إلى الحاضر . كانوا ينسون المقابلة الصحفية وينسون مهمتهم ويبدأون في الدفاع عن نفسيتهم البيضاء الشريرة . كانوا يذكرون ابرهام لنكون وتحريره للزنوج فكنت أردد أمام مسامعهم ما قاله لنكون في خطبه ضد السود . كانوا يلجأون إلى قرار المحكمة الأمريكية العليا عام ١٩٥٤ عن دمج المواطنين في المدارس من غير اعتبار للونهم .

رددت عليهم قائلاً : « ذلك واحد من أعظم الأعمال البطولية التي تمت في أمريكا ! هل تقصد أن تقنعني أن تسعة قضاة من أساطنة الصياغة اللغوية عجزوا عن أن يجدوا طريقة تجعل من قرارهم قانوناً نافذاً ؟ لا ثم لا ؟ أنه المكر وأنها الخديعة التي جعلت الزنوج يصدقون أنهم تم قبولهم في المجتمع . مرحى ! مرحى ! وفي نفس الوقت أعطت البيض ذريعة يتحايلون بها على القانون ».

كان الصحفيون البيض يجهدون أنفسهم وراء نقطة في صالح الرجل الأبيض لا أستطيع إنكارها ولا أنسى أبداً أن أحدهم كاد أن يفقد صوته وهو يحاول ذلك . سألني أحدهم : أليس هنالك رجل أبيض واحد فعل حسنة واحدة من أجل الرجل الأسود في أمريكا ؟ قلت له : « نعم هناك اثنان ، هتلر وستالين . لم يكن بمقدور الرجل الأسود أن يحصل على وظيفة محترمة في مصنع إلا عندما اضطر البيض لذلك بسبب الحرب التي أشعلها هتلر ثم أتى ستالين وواصل الضغط على أمريكا. »

لكني لم أكن أهتم كثيراً بعدد النقاط التي كنت أوضحها في المقابلات

الصحفية لأنها كانت عادة تظهر في الصحف بطريقة مختلفة . تعلمت من التجربة أن الصحافة عندما تشاء تحور وتغير من محتوى الحديث فإذا قلت مثلاً « عند ماري حمل صغير » سيظهر العنوان في الصحف بعد يوم وهو يقول « مالكوم اكس يسخر من ماري ».

ومع ذلك كنت أشعر بالمرارة من هجوم « الزعماء » أكثر من تحوير الصحافة البيضاء . نصحنا مستر محمد أن نتحاشى الرد العلني على هجوم أولئك « الزعماء » علينا لأن ذلك ما يتمناه الرجل الأبيض ، أن يبقينا منقسمين على أنفسنا . أفهمنا مستر محمد أن ذلك الانقسام كان السبب التقليدي الذي منع السود من إحراز أي تقدم وأن الوحدة هي أكثر ما يحتاجه الرجل الأسود في أمريكا . لكن ذلك لم يمنع الببغاوات السود بل أنهم استمروا الهجوم على مستر محمد وأمة الإسلام بدون أن نرد عليهم حتى أصبح الناس يظنون أننا نخاف من هؤلاء الزعماء السود « المهمين ». عند ذلك نفذ صبر مستر محمد وأعطاني الإشارة وبدأت أرشقهم بالنيران .

« العم توم في هذا الزمان لا يضع منديلاً على رأسه فعم توم القرن العشرين رجل حديث يرتدي قبعة . إنه عادة حسن الهندام ومتعلم وغالباً ما يكون مثالاً للثقافة والتهذيب . عم توماس القرن العشرين يتحدث أحياناً بلكنة جامعة هارفارد ويل وأحياناً ينادي بالبروفسير أو الدكتور أو القاضي أو الأب وأحياناً أخرى قداسة الأب الدكتور ... العم توماس في القرن العشرين زنجي محترف ... بذلك أعني أنه احترف وظيفة زنجي عند الرجل الأبيض ».

لم يحدث في السابق أن هوجم هؤلاء « القادة » المختارون بعناية بمثل تلك الطريقة في أمريكا وكانت ردة فعلهم لكشفهم أكثر شيطانية من الرجل الأبيض . بدأ رد فعلهم المنظم وبدلاً من أن يتكلموا عن أنفسهم كأفراد ، وضعوا ثقل منظماتهم خلفهم في الهجوم على مستر محمد.

كنت أسميهم بأوصافهم « رؤوس سوداء فوق أجساد بيضاء.» كانوا في المقدمة كي يظهروا في أعين الزنوج كمدافعين عن الزنوج ضد الرجل الأبيض ولكن من وراء الستار كان يقف الرجل الأبيض – كرئيس أو مدير أو أي لقب آخر – ويحرك الخيوط .

كان ذلك سبقاً صحفياً ساخنا في الصحافة البيضاء والسوداء على السواء سجلته مجلات **تايم ونيوزويك ولوك** . بدأت بعض الصحف تخرج سلسلة من القصص بدلاً من واحدة أو اثنين يفترض أن « تُعرى » فيها أمة الإسلام . حملت مجلة **ريدرز دايجست** التي توزع أربعة وعشرين مليون نسخة عالمياً ، مقالاً عنوانه « مستر محمد يتكلم » كتبه نفس المؤلف الذي أملي عليه هذا الكتاب الآن وتبع ذلك عدد من

كبرى المجلات المشهورة التي كتبت عنا بعد ذلك .

لم يمض وقت طويل حتى أصبح رجال المذياع والتلفاز يطلبون مني أن أشترك في نقاش عام أدافع فيه عن أمتنا الإسلامية . كان يواجهني فيها علماء مختارون، بيضاً وسوداً ، وبعض حملة الدكتوراه من زنوج « الدار » و « الساحة » الذين كانوا يهاجموننا. كان أكثر ما يغيظني هو تحريف وتبديل تعاليم مستر محمد ولم يك يخطر ببالي أنني لم أدخل استديو مذياع أو تلفاز حتى ولو لمرة واحدة دعك من أن أتحدث إلى ملايين المستمعين من وراء مكبر الصوت . تجربتي الوحيدة في الحديث أمام غير المسلمين كانت في مناظرات السجن الأدبية . ومن أيام الزعرنة أدركت أن لكل شيء خدعة وقد تعلمت من مناظرات السجن كيف أحبط هجوم المعارضين وهي أن أفاجئهم فمن مأمنه يؤتي الحذر . كنت أدرك أن هنالك حيلاً عن النقاش في المذياع والتلفاز لا أعلم عنها وأنني إذا تمعنت جيداً ودرست طريقتهم سأتعلم منها بسرعة أشياء ستفيدني في الدفاع عن مستر محمد وتعاليمه .

كنت أدخل هذه الاستديوهات لأجد الشياطين البيض والألعوبات حملة الدكتوراه يتبادلون الحديث بود و « مندمجين » مع بعضهم – يضحكون وينادون بعضهم بالأسماء الأولى وما شابه ، كانت كذبة كبيرة يعيشونها شعرت معها بالغثيان . إنهم حتى حاولوا التودد إليَّ والكل يعلم أنهم إنما أتوا بي ليجهزوا على عقلي . كانوا يقدمون لي القهوة فأرفض بأدب وأطلب منهم أن يتفضلوا ويروني في أي المقاعد أجلس . أحياناً كان مكبر الصوت يوضع في طاولة أمامنا وأحياناً يعلقون مكبراً أسطوانياً صغيراً بحبل من على رقبة كل منا ومن البداية أحببت مكبرات الصوت الصغيرة هذه لأنك لا تحتاج لأن تفكر في حفظ مسافة معينة بينك وبين المكبر مثل ما تفعل مع المكبرات الكبيرة التي توضع على طاولة أمامنا .

كان مقدم البرنامج عادة يبدأ بمقدمة غير دينية مثيرة عني كأن يقول : « معنا اليوم الزعيم الناري الغاضب مالكوم إكس من مسلمي نيويورك.» بدلاً من ذلك كنت أقدم نفسي وكنت أتمرن على ذلك وأنا في المنزل أو في السيارة حتى تعلمت أن أقاطع مقدم البرنامج وأقدم نفسي بنفسي .

« إنني أمثل مستر محمد الزعيم الروحي لأسرع الطوائف المسلمة انتشاراً في نصف الكرة الغربي . أننا نحن أتباعه نعلم أن الله علمه وأرسله لنا . إننا نؤمن بأن مأساة عشرين المليون أمريكي أسود إنما هي تحقيق لنبوءة مقدسة . نؤمن أيضاً أن وجود صاحب الشرف إلايْجا محمد في أمريكا اليوم وتعاليمه بين من يسمون بالزنوج وتحذيراته الواضحة لأمريكا فيما يختص بمعاملتهم ، كل ذلك تحقيق لتلك النبوءة المقدسة . إنني محظوظ كوني منستر للمعبد رقم سبعة هنا في مدينة

نيويورك والذي هو جزء من أمة الإسلام تحت قيادة صاحب الشرف إلايْجا محمد المقدسة ».

كنت أنظر حولي نحو أولئك الشياطين وألعوباتهم السوداء المدربة وهم يحدقون فيَّ وأنا التقط أنفاسي بعد أن أرسيت وتيرة الحديث . كانوا يتبارون فيما بينهم في الهجوم على شخصي والضرب على مستر محمد وعليَّ وعلى أمة الإسلام . أولئك الزنوج الذين فتنوا « بالاندماج » ومن الطبيعي أن تركيزهم على ذلك . لماذا لا يرى المسلمون أن الاندماج هو الحل لمشاكل زنوج أمريكا ؟ كنت أمزق تلك المقولة إرباً إرباً .

« ما من أسود عاقل يود الاندماج حقيقة . ما من أبيض عاقل يود الاندماج حقيقة . ما من أسود عاقل يؤمن حقيقة أن الرجل الأبيض سيسمح بأكثر من اندماج رمزي . كلا ! ثم كلا ! ما يعلمنا إياه صاحب الشرف إلايْجا محمد هو أن حل مشكلة السود في أمريكا في الانفصال عن الرجل الأبيض».

كل من جادلني في المذياع أو التلفاز يعلم أن أسلوبي هو عدم التوقف حتى أقول ما أريد أن أقول وقد كنت بدأت تنمية ذلك الأسلوب حينها.

« يعلمنا صاحب الشرف إلايْجا محمد أنه وبما أن المجتمع الغربي ينهار فقد بدأ ينخر فيه الفساد وسيدينه الله ويحطمه . والطريقة الوحيدة التي بها يتم إنقاذ السود الذين وجدوا أنفسهم في هذا المجتمع هي ألا يندمجوا في هذا المجتمع الفاسد بل ينفصلوا عنه حتى يكون لهم وطنهم الخاص كي يصلحوا ما بأنفسهم ويرتقوا بأخلاقهم ويصبحوا طاهرين. لقد فشل جهابذة الدبلوماسية الغربية في حل مشكلة اللون المستعصية . فشل علماء القانون وفشل كذلك علماء الاجتماع وقادة حركة الحقوق المدنية . فشل قادتها السياسيون الناصحون . وبما أن كل أولئك قد فشلوا فقد آن الوقت لنجلس ونفكر وأنا متأكد أننا حينها سنتفق أن الله وحده هو القادر على حل المعضلة العنصرية المستعصية ».

كلما ذكرت الانفصال يصيح أحدهم بأننا نحن المسلمين ننادي بنفس ما ينادي به العنصريون البيض والديماجوجيون وكنت حينها أوضح الفرق بيننا وبينهم . «كلا ! ثم كلا ! أننا أكثر تشدداً منكم في رفضنا للتمييز . إننا نطالب بالانفصال وهنا مربط الفرس . يعلمنا صاحب الشرف إلايْجا محمد أنه تمييز عندما تكون حياتك وحريتك مسيطراً عليهما وينظم ذلك شخص آخر . التمييز يعني التحكم . التمييز هو ما يفرضه الأقوياء على الضعفاء أما الانفصال فهو ما يقوم به طوعاً اثنان متساويان ولمصلحة كليهما . يعلمنا صاحب الشرف إلايْجا محمد أنه طالما اعتمد قومنا في أمريكا على الرجل الأبيض فسنظل نتسول من أجل العمل والملبس والمأكل والمأوى وسيظل الرجل الأبيض يتحكم في حياتنا وينظمها وستظل

عنده القوة ليميز بيننا . لقد عومل الزنوج في أمريكا كالأطفال . لكن الطفل يبقى في بطن أمه حتى يولد وعندما يحين وقت الوضع يجب أن ينفصل الطفل من أمه وإلا هلكت لأنها لا تستطيع حمله في بطنها بعد ذلك . الطفل يبكي ويحتاج لعالمه الخاص».

كل من استمع إليَّ لم يكن ليشك في أنني أؤمن بمستر محمد وأمثله مائة بالمائة ولم أحاول قط أن أرجع الفضل لشخصي .

ما كنت في إحدى هذه المناقشات إلا وكان هنالك شخص يتحين الفرصة ليتهمني بتشجيع الزنوج على العنف ولم أكن بحاجة للتحضير خصيصاً للرد على ذلك .

« إن أكبر معجزة حققتها المسيحية في أمريكا هي أن الزنوج لم يلجأوا للعنف وهم في أيد مسيحية بيضاء . إنها لمعجزة أن اثنين وعشرين مليوناً من السود لم ينهضوا ضد مستعبديهم الشيء الذي كانت ستبرره كل المقاييس الأخلاقية وحتى التقاليد الديمقراطية . إنها لمعجزة أن أمة من السود ظلت تؤمن بشدة في فلسفة أدر – له – الخد – الآخر والجنة – لك – بعد – الموت . إنها لمعجزة أن السود في أمريكا ظلوا مسالمين وهم يقاسون جحيم قرون من العبودية في جنة الرجل الأبيض . المعجزة هي تمكن الزعماء السود ، ألاعيب الرجل الأبيض ، الوعاظ والمتعلمين المثقلين بالدرجات العلمية من مسح الدهن من على ظهور أخوانهم السود والسيطرة عليهم وجعلهم مسالمين حتى الآن ».

أؤكد لك شيئاً واحداً وهو أنني في كل مرة أجد نفسي في الاستوديوهات مع الألعوبات"السود مغسولي الدماغ المفتونين بالاندماج ومعهم أولئك الشياطين البيض يحاولون تمزيقي وجري إلى الأرض وطالما كان الضوء الأحمر يشير إلى أننا ما زلنا نتكلم على الهواء ، كنت في كل مرة أبذل أقصى جهدي لأمثل إلايْجا محمد وأمة الإسلام .

نشر كتاب دكتور س. إريك لنكون في غمرة هذا الجدل عنا نحن المسلمين . وفي حوالي نفس الوقت الذي بدأنا نعقد فيه أول اجتماعات شعبية كبيرة . ومثلم خلق برنامج البغض الذي أولده البغض صورة لنا كدعاة حقد فقد خرج كتاب د. لنكون بعنوان المسلمون السود في أمريكا وأصبح ذلك الكتاب « المسلمون السود » في كل مراجعات الكتب في الصفحات الأدبية التي نقلت من الكتاب كل ما هو هام عنا وأثنت على أسلوب د. لنكون .

تركزت أعين الجمهور على الاسم « المسلمون السود » إلا أن تلك التسمية

أغاظت كل من في أمة الإسلام بدءاً من مستر محمد إلى من هم أدنى . حاولت لمدة عامين أن أبعد عنا تلك التسمية « المسلمون السود » دون جدوى . كلما اقتربت من كاتب صحفي ومن مكبر صوت كنت أؤكد « كلا إننا قوم سود هنا في أمريكا وديننا هو الإسلام واسمنا الصحيح هو المسلمون » ولكن الاسم لم يتزحزح عنا .

حققت اجتماعاتنا الشعبية نجاحاً منقطع النظير منذ البداية . وبعد أن كان المعبد رقم واحد في ديترويت يجاهد ليرسل بفخر قافلة من عشرة عربات للاستماع لمستر محمد في شيكاجو ، أصبحت معابدنا في عرض الساحل الشرقي ، قديمها وجديدها الذي ساعدت في إيجاده كل تلك الحملة الإعلامية ، أصبحت الآن ترسل مائة وخمسين أو مئتين أو ثلاثمائة من الحافلات الكبيرة المؤجرة تعج بها الطرق وهي في طريقها للاستماع لمستر محمد حيثما كان سيخطب . وفي كل حافلة اثنان من شباب ثمار الإسلام مسئولان عنها وعلى كل حافلة علقت لافتة كبيرة (٣ x 9 قدم) من القماش تقرأها شرطة طرق المرور السريع وآلاف الناس من المنازل وشوارع المدن التي تمر بها .

مئات أخرى من المسلمين والزنوج والفضوليين كانت تقود عرباتها بأنفسها . كذلك كان مستر محمد يركب طائرته النفاثة الخاصة من شيكاجو لتهبط في مطار أي مدينة ثم من هنالك يصحب موكبه رتل من السيارات من بينها عربات الشرطة ذات النفير . في الماضي كان رجال القانون يسخرون منا كقلة من المعتوهين ولكنهم الآن يبذلون أقصى جهدهم ليمنعوا المعتوهين البيض من الاقتراب منا والتسبب في أي « واقعة » أو « حادثة» لم تشهد أمريكا أبداً مثل تلك الاجتماعات الرائعة والسوداء تماماً . كان ما يقارب العشرة آلاف أسود وأكثر يتقاطرون بالمواصلات العامة والخاصة ليملأوا القاعات الكبيرة المؤجرة حتى تفيض مثل إستاد سانت نيكولاس في مدينة نيويورك والكوليزيوم في شيكاجو وإستاد يولين في واشنطن د. س.

كنا نمنع البيض من الحضور وتلك أول مرة يحلم الرجل الأسود في أمريكا بمثل ذلك . أتى لنا ذلك بهجوم الرجل الأبيض والعوباته من السود. « انفصاليون سود ... عنصريون! » اتهمونا بالعنصرية بينما العرف في كل أرجاء أمريكا هو استبعاد السود بواسطة البيض .

كان المئات يصلون بعد أن يمتلئ المكان فكنا نضع لهم مكبرات صوت خارج القاعة . كان الجو المكهرب يثير الجماهير السوداء المتململة والصفوف الطويلة المتراصة التي تقود إلى القاعة بينما يحفظ شباب الإسلام النظام المنضبط وهم يتصلون مع بعضهم البعض بواسطة الراديو المنقول . في مقدمة القاعة بالداخل كان

بعض آخر من شباب ثمار الإسلام وأخوات مسلمات محجبات برداء أبيض ، يفتشون بدقة كل امرأة ورجل وطفل يود الدخول . لا سكاير ولا خمر وكل آلة أو شيء يمكن أن يؤذي مستر محمد يترك بالخارج . كان مستر محمد دائماً يخاف من أن شخصاً سيحاول إيذاءه ولذا يصر على تفتيش كل من يدخل لتفادي ذلك . حالياً أتفهم أنا ذلك أكثر من ذي قبل .

المئات من شباب ثمار الإسلام كانوا يمثلون المجموعات التي وصلت مبكراً ذات الصباح من معابدها في المدن المجاورة . وكان بعضهم يقوم بمهمة المنظمين الذين يوجهون الناس إلى مقاعدهم في أقسام القاعة المختلفة . كانت الشرفات والنصف الخلفي من القاعة متروكة للجمهور وأمامهم جزء منفصل للمسلمين حيث تجلس الأخوات المليحات بزيهن الأبيض ثم الأخوة بستراتهم الداكنة اللون وقمصانهم البيضاء . في المقدمة جناح خاص « لعلية القوم » من السود وكان أغلبهم مدعواً بمن فيهم الألاعيب الذين كانوا يهاجموننا والمهنيون من بين الزنوج الذين تحسر عليهم مستر محمد لأنهم يمثلون المتعلمين الذين كان يعول عليهم قيادة أخوتهم السود الفقراء بعيداً عن متاهة العوز والشقاء . كنا لا نريد لهم أن تفوتهم كلمة الحقيقة وهي تخرج من فم محمد شخصياً .

الصفان أو ثلاثة الصفوف الأولى كانت تمتلئ بالصحفيين السود ورجال التصوير الذين يمثلون الصحافة الزنجية أو الذين تستأجرهم صحف الرجل الأبيض ومجلاته ومذياعه وتلفازه . على كتّاب أمريكا السود إقامة حفل تكريم لمستر محمد لأن الكتابة عن أمة الإسلام أصبحت أكثر طريق للشهرة لمعظم الكتاب السود المعروفين اليوم .

على المسرح ومن وراء المنصة كنا نجلس نحن أئمة ومسئولي الأمة حيث ندخل من خلف المسرح ونجد أماكننا في خمسة أو ستة الصفوف وراء المقعد الكبير الذي يجلس عليه مستر محمد . بعض هؤلاء الأئمة قطعوا مئات الأميال لكي يتمكنوا من الحضور . كنا نلتفت نحو بعضنا من مقاعدنا والابتسامة تعلو وجوهنا ، ونشد أيدي بعضنا البعض ونتبادل « السلام عليكم » « وعليكم السلام» في ابتهاج خالص بلقاء بعض مرة أخرى .

كنا نحن القدامى في خدمة مستر محمد نقابل وجوهاً جديدة في كل اجتماع ، أئمة جدد في معابد صغيرة جديدة . أحد أخوتي في ذلك الوقت (ولفرد) كان منستر معبد ديترويت بينما فلبرت منستر معبد لانسنج . منستر جيرميا إكس كان مسئولاً عن معبد أطلانطا ومنستر جون اكس عن لوس أنجلوس . كان ابن مستر محمد ، والاس محمد ، مسئولاً عن معبد فلادلفيا وودرو إكس عن أطلانطيك

سيتي . لبعض هؤلاء الأئمة خلفية طريفة. منستر لوشص إكس من معبد واشنطن د.س. مثلاً ، كان من أتباع اليوم السابع وما سوني من الدرجة ٣٢ ومنستر جورج إكس من كامدن بولاية نيوجيرسي كان طبيباً أخصائيا . منستر ديفيد إكس كان في السابق قسيساً في ريتشموند بولاية فرجينيا فكان أن تحول هو وعدد من المصلين المنتظمين إلى الإسلام وصوتت أغلبيتهم مع قلب الكنسية إلى معبد . أما منستر معبد بوسطن فكان شاباً ممتازاً يدعى لويس إكس وقد كان قبل ذلك نجماً صاعداً في عالم الغناء يدعى « الشارمر » وقد ألف ولحن أول نشيد لأمتنا المسلمة يدعى « جنة الرجل الأبيض هي جحيم الرجل الأسود . » كذلك كتب منستر لويس إكس أول مسرحية لنا أسماها « أوريجنا » وهي كلمة زنجي مكتوبة عكسياً ، كانت تدور حول محاكمة الرجل الأبيض أمام محكمة كلها من السود على جرائمه العالمية ضد الأجناس الأخرى حيث تتم إدانته ويحكم عليه بالإعدام ثم يجر إلى الخارج وهو يصرخ عن كل ما قد فعله لهؤلاء القوم الزنجا .

كان هنالك من هو أصغر عمراً من لوشص إكس بين الأئمة الجدد مثل منستر طوماس ج. إكس من معبد هارتفورد ومنستر روبرت ج. إكس من معبد مدينة بفالو بولاية نيويورك .

لقد كنت أنشأت أو نظمت لمستر محمد معظم هذه المعابد الممثلة وكنت عندما أحي أي من الأخوة المنسترز تقفز إلى ذهني صورنا ونحن « نصطاد » المجندين في الشوارع أو من باب لباب في أي مكان يتجمع فيه السود . مازلت أذكر الاجتماعات الكثيرة جداً في غرف الجلوس حيث كنا نعتبر وجود سبعة أشخاص جمهرة ثم النمو المتدرج حتى صرنا نستأجر المقاعد المطبقة من المتاجر الصغيرة القذرة وكنا نحن المسلمين نحكها حتى تلمع .

ونحن كذلك على مسرح تلك القاعة الضخمة وأمامنا جمهور عريض قلت لنفسي: إن هذا إعجاز يوضح قدرة الله ولأول مرة فهمت ما قاله لي مستر محمد ذات مرة . زعم لي أنه حينما كان يضحي ويجري من بلد إلى بلد هرباً من أولئك السود المنافقين ، كان يرى رؤيا إلهية حيث يجد أنه يتكلم أمام جماهير غفيرة أتت لتسمع تعاليمه كما قال أن نفس تلك الرؤى عاودته وهو في سجن الرجل الأبيض وكانت له سنداً .

فجأة تبدأ همهمة الجماهير الغفيرة المتململة في الانخفاض ....

أمام المنصة يقف الأمين العام للأمة جون علي أو لويس إكس السكرتير القومي للأمة. كانوا يحيون الجمهور ويتحدثون عن العالم الجديد الذي انفتح أمام الرجل الأسود بواسطة أمة الإسلام . ثم تتحدث الأخت تاينيتا داينر بطلاوه عن إسهام المرأة

المسلمة الحيوي ودورها في الارتقاء بوضع السود في أمريكا جسدياً وعقلياً وأخلاقياً واجتماعياً وسياسياً .

بعد ذلك أتقدم أنا خصيصاً إلى مكبر الصوت لأهيئ المستمعين للاستماع إلى مستر محمد القادم بالطائرة من شيكاجو ليعلمنا هو شخصياً .

كنت أرفع يدي قائلاً « السلام عليكم ».

ويهدر صوت المستمعين من جانب جلوس المسلمين « وعليكم السلام ». كنت أتبع نسقاً عاماً في مثل هذه المناسبات .

« إخواني وأخواتي السود – من كل المعتقدات الدينية أو اللا دينية – إن أكثر رابطة تربطنا ... هي أننا كلنا أناس سود .

« لن أقضي كل اليوم لأحكي لكم عن بعض عظمة صاحب الشرف إلايْجا محمد ولكني فقط سأحدثكم عن أعظم عظماته . إنه الزعيم الأسود الأول والوحيد الذي تمكن من تحديد من هو عدوي وعدوك . صاحب الشرف إلايْجا محمد هو أول زعيم أسود من بيننا لديه الشجاعة الكافية ليقول بصراحة وأمام الجميع شيئاً لو فكرتم فيه عندما تعودون إلى منازلكم لعرفتم ما نعايشه هنا وما نشاهده وما نعاني منه طول حياتنا .

عدونا هو الرجل الأبيض !

ولماذا اعتبر ما يعلمنا له مستر محمد شيئاً عظيماً ؟ لأنك عندما تعرف من هو عدوك فلن يستطيع بعد ذلك أن يجعلنا منقسمين يحارب بعضنا بعضاً . لأنك عندما تدرك من عدوك فلن يستطيع ذلك العدو استخدام الوعود والخداع والكذب والنفاق وأفعاله الشيطانية حتى تظل أصماً أعمى أبكم . عندما تعرف عدوك فلن يستطيع غسل مخك بعد ذلك ، لن يستطيع أن يضع غشاوة فوق عينيك تمنعك من أن تقف وترى أنك تعيش في جحيم خالص على وجه هذه البسيطة بينما يعيش هو في نعيم خالص في نفس هذه البسيطة – هذا العدو الذي يقول لك أننا وهو يفترض أن نعبد نفس الإله المسيحي الأبيض – الذي أخبرونا أنه يقف من أجل المساواة للجميع .

نعم ، ثم نعم ، ذلك الشيطان هو عدوك وسأبرهن ذلك لكم . التقط أي صحيفة يومية . أقرأ عن التهم الباطلة التي يكيلونها لزعيمنا الروحي المحبوب . إنها تشير فقط إلى حقيقة أن الجنس القوقازي (الأبيض) لا يريد أبداً لأي رجل أسود ليس ببغاء أو ألعوبة في أيديه أن يتحدث باسم الرجل الأسود . أن الشيطان القوقازي المستبد لا يريد لنا ولا يعتقد أننا سنهجره ، ولكننا عندما نبقى هنا في وسطه ، يستمر في وضعنا في أحط درجات المجتمع .

« لقد كان الرجل الأبيض دائماً يعشق دمنا بعيداً في مكان ما ، دائماً بعيداً عن أنظاره ، منزوين في ركن قصي . الرجل الأبيض يحب ذلك النوع من الزعماء السود الذين يستطيع أن يسألهم : كيف حال الأمور مع قومكم في ذلك المكان ؟ ولكن لأن مستر محمد لا يهادن في موقفه من الرجل الأبيض ، فإن الرجل الأبيض يبغضه . عندما تسمعون أن الرجل الأبيض يبغضه ، فأنتم أيضاً ولأنكم لا تفهمون معنى نبوءة الكتاب المقدس ، تصفون مستر محمد بالعنصرية وبذر البغضاء أو عدو البيض وداعية العنصرية السوداء ».

فجأة تسمع حفيف الجمهور وهو يتلفت ....

يكون حينها مستر محمد يدخل بسرعة من الخلف شاقاً ممراً في الوسط مثل دخوله معابدنا الصغيرة المتواضعة قبل ذلك – الرجل الذي وقرناه كحمل الإسلام الوديع الخنوع ذي البشرة السمراء ، يحيط به شباب ثمار الإسلام المختارون وهم يمشون بخطى واسعة راسخة مع شعورهم القصيرة . كان يحمل كتابي الإنجيل والقرآن والقبعة الصغيرة التي يرتديها على رأسه موشاة بالذهب بعلم الإسلام وعليه الشمس والهلال والنجوم . يبدأ المسلمون في الهتاف محيين له ومعبرين عن توقيرهم له وترحيبهم به . « أيها الحمل الصغير » ، « السلام عليكم ! » « لله الحمد ! ».

تترقرق الدموع من أكثر من عين غير عيناي . لقد تم خلاصي على يديه وأنا سجين ، لقد تعهدني وعلمني في بيته وكأني ابنه . أعتقد أن قمة شعوري العاطفي ، إلى عهد قريب على الأقل ، كانت حينما يقف شباب الإسلام فجأة في انتباه منضبط ويطلع مستر محمد الدرج إلى المنصة وحده ونقفز نحن أئمته بمن فيهم أنا حوله ، نحتضنه ونشد على يديه الاثنتين . بعد ذلك التفت مباشرة إلى مكبر الصوت حتى لا يطول الانتظار على أكبر جمهور أسود في العالم أتى ليسمع مستر محمد .

« إخواني وأخواتي السود – لن يعرف أحد من نحن حتى نعرف نحن من نحن . لن نصل إلى أي غاية حتى نعرف من نحن . إن صاحب الشرف الإلهي محمد يعيد لنا حقيقتنا ومكاننا تحت الشمس وسيعرف الرجل الأمريكي الأسود ذلك لأول مرة على الإطلاق . بإمكانك أن تكون في حضرة هذا الرجل بدون أن تدرك ما لأفعاله من قوة وسلطان (صدقوني إذا قلت لكم أنني كنت أشعر بسلطان مستر محمد من خلفي) .

« إنه لا يعرض أو يستعرض قوته مع أنه ليس هنالك زعيم أسود آخر في أمريكا غيره له أتباع على استعداد للتضحية بحياتهم إذا طلب منهم ذلك . وأنا لا أعني ذلك النوع من تضحية دعاة اللاعنف الذين يستجدون الرجل الأبيض ، يتظاهرون وهم جلوس أو هم يتزلجون ، يأكلون أو يسبحون إلى آخر تلك القائمة من التظاهرات السلمية .

« إخواني وأخواتي السود ، لقد حضرتم من منازلكم لتستمعوا ، الآن ستستمعون إلى أكثر الأمريكيين السود حكمة ، أشجع أمريكي أسود وأكثرهم إقداماً . أقوى أمريكي أسود في تيه أمريكا الشمالية ».

ثم يتقدم مستر محمد بسرعة إلى المنصة بوجهه الوديع والهدوء يخيم على الجمهور ، « السلام عليكم » .

« وعليكم السلام ».

تهدر بذلك أصوات المسلمين وهم يجلسون بعد وقوف لينصتوا له . علمتهم التجربة أن مستر محمد سيقضي الساعتين التاليتين وهو يشهر سيف الحق القاطع ذا الحدين . كان كل مسلم يشفق عليه من إرهاق حديثه الطويل علماً بأنه يعاني من الأزمة الصدرية .

« إني لا أحمل درجة علمية مثل الكثيرين منكم أمامي ، لكن التاريخ لا يأبه للدرجات.

« الرجل الأبيض ملأكم بالخوف منه منذ أن كنتم أطفالاً سوداً صغار . بداخلكم أكبر عدو لكم وهو الخوف . لقد تربيتم على الخوف والكذب لكنني سأجلي لكم الحقيقة حتى تتحرروا من الخوف .

« لقد أتى بكم متسيدكم إلى هنا وحطم كل تاريخكم . أنتم اليوم لا تعرفون لغتكم الحقيقية . من أي قبيلة أنت ؟ ليس منكم من يميز اسم قبيلته حتى ولو ذكر أمامه . أنكم تجهلون كل شيء عن حضارتكم الحقيقية وليس منكم من يعرف اسم عائلته الحقيقي . كل منكم يحمل اسم رجل أبيض . اسم السيد الأبيض الذي يبغضكم .

« إنكم أناس يظنون أنهم يعرفون كل شيء عن الإنجيل وكل شيء عن المسيحية ووصلت بكم البلاهة أن تظنوا ألا حق سوى المسيحية .

« أنتم الجماعة الوحيدة على ظهر الأرض التي تجهل نفسها ، تجهل أصلها وتاريخها وعدوها . أنتم لا تدركون إلا ما أراد لكم السيد الأبيض أن تدركوا وقد علمكم فقط ما ينفعه هو وما ينفع قومه . علمكم لمنفعته أنكم قوم عديمو الحيلة والتدبير ، ضعفاء وما يسمون بالزنوج (النيجروز) .

« أقول ما يسمون بالزنوج (بالنيجروز) لأنكم لستم « زنوج » فليس هنالك جنس يسمى الزنوج . أنتم سلالة أمة آسيوية من قبيلة شاباز . النيجروز اسم وهمي فرضه عليكم سيدكم الأبيض . لقد كان ومازال يفرض عليك وعليَّ وعلى بني جنسنا أشياء عدة منذ أن رست أول سفينة عبيد منا نحن السود في هذه الأرض .»

كان عندما يقف أثناء الحديث يهتف المسلمون الذين أمامه « الحمل الصغير » ! « كل الحمد لله » « علمهم أيها المبعوث ! » فيستمر .

« إن جهلنا نحن السود بأنفسنا وبغضنا لأنفسنا لهما خير أمثلة لما أراد الرجل الأبيض أن يلقننا . هل نُظهر العقلانية البسيطة التي تجعل كل أمة على وجه الأرض تتحد فيما بينها ؟ ! لا ! إننا نسيء إلى أنفسنا بتظاهرات الجلوس والاستجداء محاولين الوحدة مع من يسترقنا وليس هنالك أسخف من ذلك في رأيي . بألف طريقة كل يوم يشعرنا الرجل الأبيض بنبذه لنا : ممنوع السكن هنا ، ممنوع الدخول هناك ، ممنوع السير في هذا المكان ، ممنوع الأكل في ذلك المكان ، ممنوع العمل ، ممنوع الركوب ، ممنوع اللعب ، ممنوع الدراسة . ألم تروا ما يكفي لإقناعكم أنه لا يود الاتحاد معكم ؟

« لقد حرثتم حقوله وطهوتم طعامه . غسلتم ملابسه واعتنيتم بزوجه وأطفاله عندما يغيب ، وفي حالات كثيرة أرضعتموه طفلاً من ثدي أمهاتكم . لقد كنتم مخلصين في مسيحيتكم أكثر من سيدكم الذي علمكم المسيحية .

« لقد نزفتم دماً وأنتم تساعدونه يبني دولة غنية تستطيع أن تمنح الملايين حتى لأعدائها . وعندما يشبع هؤلاء الأعداء منه بما يكفي لمحاربته كنتم جنوده البواسل ، تموتون من أجله . وفي زمن السلم كنتم أخلص خدامة .

« وبعد كل ذلك لا يجد هذا الرجل المسيحي الأبيض الحشمة الإنسانية والمنطق العادل ليعترف بنا ويقبلنا كبشر ، نحن السود الذين فعلنا الكثير من أجله كأخوة له في الإنسانية. »

« نعم يا رجل ! » آه ! آه! « علمهم أيها المبعوث ! حدثهم ! » « إنك لمحق ! » على مهلك أيها الرسول الصغير « نعم حقاً ! ».

كان الآخرون يبدأون الهتاف بجانب المسلمين في تلك اللحظة فنحن المسلمون أقل إظهاراً لعواطفنا من الزنوج المسيحيين عادة إلا أن الشعور تلاقى بين المجموعتين .

« لذلك دعونا نحن السود نفصل أنفسنا من هذا المسترق الأبيض الذي يبغضنا بشدة، بينما أنتم هنا تستجدون شيئاً مما يسمى الاندماج ! ولكن ماذا يقول هذا المسترق الأبيض المغتصب . أنه يرفض الاندماج لأن الدم الأسود سيهجن عنصره . أنه يقول ذلك – وانظروا إلينا ! أديروا رؤوسكم وانظروا إلى بعضكم البعض ! لقد دمجنا هذا المسترق حتى إنك لا تكاد تجد من بيننا إلا قلة لها اللون الأسود ، لون أجدادنا» .

« الله حق والرجل محق ! » ... « علمهم يا معلم ! » ، « أصغوا إليه ! اسمعوه ! ».

ويواصل مستر محمد . « لقد ترك فينا سواداً قليلاً حتى أنه صار يبغضنا ،

يبغض نفسه لما فعله بنا – أنه يقول لنا أن الواحد منا أسود قانوناً إذا كانت به نقطة من الدم الأسود . حسناً إذا كان ذلك كل ما بقى لنا من دمنا الأسود فإننا نود أن نطالب بتلك النقطة ».

كان تداعي صحته يظهر في تلك اللحظات ولكنه يواصل التلقين .

من أجل ذلك دعونا ننفصل من الرجل الأبيض ولنفس السبب الذي يقوله – لننقذ أنفسنا من أي اندماج إضافي قبل أن يفوت الأوان .

« لماذا لا يقوم الرجل الأبيض الذي يدعي الطيبة والكرم والذي يمول أعداءه ، لماذا لا يقوم بتمويل دولة منفصلة ، إقطاعية منفصلة لنا نحن السود الذين كنا خدمه وعبيده المخلصين . دولة منفصلة نرتقي فيها بأنفسنا ونخرج من هذه الأحياء القذرة التي وضعنا فيها ومن إطعامه لنا ومن أولئك الذين يشتكون من أننا نكلفهم كثيراً . إن بإمكاننا أن نفعل شيئاً من أجل أنفسنا . لم نقم بما نستطيع أبداً لأن السيد الأبيض قد غسل أمخاخنا تماماً فصرنا نلجأ إليه نستجديه كل ما نريد وما نحتاج ».

بعد تسعين دقيقة من ذلك يضغط كل منستر من خلف إلايْجا على نفسه ليمنعها من القفز ناحيته واسترجائه أن يقف عند ذلك الحد ، بينما يضغط إلايْجا يديه بقوة على أطراف المنصة ليستند عليها .

إننا معشر السود نجهل مقدراتنا . إنك لا تدري ما باستطاعة أي حيوان أن يفعل حتى تطلقه حراً ليفعل إرادياً ما يشاء . إذا كانت لك قطة في المنزل فدللتها ولاطفتها فعليك أن تطلقها حرة ، دعها وحالها ، أطلقها في الغابات قبل أن ترى أن تلك القطة قادرة على إطعام وإيواء نفسها .

إننا معشر السود في أمريكا ، لا حرية لنا مطلقاً لننطلق ونكتشف مقدراتنا مع أن لنا العلم والخبرة التي يمكن أن نجمعهما ونفعل شيئاً لأنفسنا . لقد قمنا بالزراعة طول حياتنا فدعونا نزرع طعامنا بأنفسنا . بإمكاننا أن نبني المصانع لتصنيع حاجاتنا الضرورية وبإمكاننا أن ننشئ أعمالاً تجارية مختلفة وشركات مختلفة ونصبح مستقلي الإرادة مثل باقي الأمم المتحضرة .

« بإمكاننا التخلص من غسيل المخ الذي حدث لنا ومن احتقارنا لأنفسنا ونعيش أخوة مع بعضنا .

« ... أرض لنا ... شيء ما لأجلنا ... دعو المتسيد الأبيض لنفسه ...» كان مستر محمد دائماً يقف فجأة حينما يعجز عن مواصلة الكلام . الحضور يصفقون وقوفاً وحائط من الأصوات لا ينتهي .

وأنا أقف هنالك رافعاً ذراعي استطعت أخيراً تهدئة المستمعين بينما يبدأ شباب ثمار الإسلام في المرور بين الصفوف لجمع التبرعات من الناس في أكياس الورق المشمع . عند ذلك أبدأ أنا الكلام .

« الآن تدركون مما سمعتم أن أموال الرجل الأبيض لا تمول برنامج صاحب الشرف إلايْجا محمد حتى يصبحوا مستشاريه ويحتووه . إن برنامج مستر محمد وأتباعه ليسوا مندمجين مع الجنس الأبيض . مستر محمد وبرنامجه أسودان خالصان .

« إننا المنظمة السوداء الوحيدة التي يدعمها السود فقط – إن ما يسمى بمنظمات تقدم الزنوج تسيء إلى ذكائك ، يدعون أنهم يحاربون من أجلك لتحصل على الحقوق المتساوية التي تطالب بها وأنهم يحاربون الرجل الأبيض الذي أنكر حقوقك . إن الرجل الأبيض يدعم هذه المنظمات . قد تدفع دولارين أو ثلاثة أو خمسة لإحدى هذه المنظمات إن كنت عضواً فيها ولكن من يدفع لها ألفي وثلاثة أو خمسة آلاف دولار؟ الرجل الأبيض . إنه يغذي هذه المنظمات وبالتالي يتحكم فيها . يقدم لها النصح ليحتويها . فكروا لأنفسكم أو لست تحب أن تنصح وتتحكم في أي شيء تدعمه بالمال مثل ابنك ؟

« الرجل الأبيض لن يمانع بل أنه يود لو يدعم مستر محمد بالمال ولكن إذا اعتمد مستر محمد على دعم الرجل الأبيض سيضطر ليسمع نصحه . إخواني وأخواتي السود ، إنه لولا أموالكم ، أموال السود ، لما استطاع مستر محمد إقامة مثل هذه الندوات والاجتماعات السوداء الخالصة من مدينة لأخرى لإجلاء الحقيقة للناس . من أجل ذلك نرجو أن تمنحنا مؤازرتك .»

كانت الأوراق النقدية وأغلبها ليست من فئة الدولار الواحد ، تملأ الأكياس التي تمتلئ بسرعة ثم تفرغ من محتوياتها وتعاد تملأ من جديد . كان جو الاجتماع وكأنما أصيب الناس بالإرهاق . أما حصيلة التبرعات فكانت تغطي تكاليف الندوة الجماهيرية ويتبقى منها مبلغ ليستغل في بناء الأمة .

بعد عدة اجتماعات من هذا النوع أمرنا مستر محمد بالسماح للصحفيين البيض بالحضور فكان شباب ثمار الإسلام يفتشهم بدقة مثلما يفتش أي شخص آخر – تفتش مذكراتهم وآلات تصويرهم ومحافظهم وكل ما يحملون . بعد ذلك قال مستر محمد : إن أي أبيض يود الاستماع للحقيقة بإمكانه الحضور لهذه الاجتماعات العامة فأصبحنا نعد لهم جزءً منفصلاً متى ينشغل عن آخره .

أغلب الحضور من البيض كانوا طلاباً وعلماء وكنت أراقب وجوههم وهي تحمر محدقة في مستر محمد . « الرجل الأبيض يعلم أن أفعاله هي أفعال الشيطان .»

كنت أيضاً أراقب وجوه المهنيين السود ، من يسمون بالمثقفين الذين يهاجموننا – أنهم يمتلكون المعرفة الأكاديمية وعندهم القدرات العلمية الفنية التي بإمكانها أن تنقذ أخوتهم السود البؤساء من بؤسهم . ولكن كل ما يفكر به هؤلاء السود المثقفون والمهنيون هو تحقير أنفسهم والاستجداء ومحاولة الاندماج مع ما يسمى بالليبرالي الأبيض الذي ما فتئ يقول لهم ، « عندما يحين الوقت ... كل شيء سيصبح على ما يرام ... فقط عليكم الصبر .» هؤلاء المثقفون والمهنيون الزنوج لا يستغلون معرفتهم لخدمة جنسهم الأسود لأنهم غير متحدين حتى فيما بينهم . وإذا ما اتحدوا فيما بينهم واتحدوا مع جنسهم بإمكانهم إفادة كل السود في العالم !

كنت أراقب وجوه هؤلاء المثقفين والمهنيين وهي تنفعل وتنصرم بينما الحقيقة تجد طريقها إلى عقولهم .

كنا نحن تحت المراقبة وحتى اليوم إذا ما رفعت سماعة هاتفي وقلت إنني سأفجر قنبلة في مبنى الإمباير ستيت ، فإني أؤكد لك أن الشرطة ستحيط بها في دقائق – وعندما أتكلم أمام جمهور ما ، بإمكاني أن أخمن مَن مِن بينَ الوجوه التي أمامي هي وجوه أف . بي . آي (المباحث الفدرالية) أو أي نوع آخر من المخبرين، كما كان رجال الشرطة وممثلو الـ أف. بي . آي يزورونا بانتظام وإصرار ويستجوبوننا. « إنني لا أخاف منهم ، » قال مستر محمد « إن لدي كل ما أحتاج – الحق ».

في ليال كثيرة قبل النوم كنت أتعجب وأنا أفكر في كيف أن هذا السيف القاطع ذا الحدين ، هذه التعاليم أقلقت وجرحت ، شوشت وأزعجت حكومة تعج بالخبراء المتدربين على كل العلوم الحديثة . شعرت أن كل ذلك لم يكن ليحدث لولا أن الله ، أعلم العالمين ، أعطى هبة ما لخريج الصف الرابع ليوصلها لنا .

أرسلت السلطات جواسيس سوداً ليتسللوا إلى منظمتنا . ولكن أولئك الجواسيس كثيراً ما برهنوا أنهم وقبل كل شيء سود . لا أستطيع أن أقول كلهم ، فهناك حتماً آخرون ، إلا أن بعضهم ، بعد أن انضم إلينا وسمع ورأى وأحس بالحقيقة ، كشفوا لنا عن أنفسهم . بعض هؤلاء استقال من وكالات الرجل الأبيض الرسمية وأصبح يعمل مع أمة الإسلام. بعضهم الأخر استمر في العمل مع الرجل الأبيض بمعرفتنا ليصبح جاسوساً مضاداً يوصل إلينا أقوال وخطط الرجل الأبيض عن أمتنا . تلك هي الطريقة التي بها عرفنا أن ثاني أكثر موضوع يشغل السلطات بعد محاولتها معرفة ما يدور في معابدنا ، كان موضوع السرعة المتزايدة التي يحتضن بها السجناء السود الإسلام وأعتقد أن هذا الموضوع مازال يشغلهم حتى اليوم .

السجناء الذين ينضمون إلينا كانوا عادة يهيئون أنفسهم لذلك وهم في السجن حتى يستوفوا مقاييس أمتنا الأخلاقية . وكما حدث معي ، يدخلون المعبد رأساً بعد خروجهم من السجن وقد تأهلوا للتسجيل كمسلمين . في حقيقة الأمر ، كان أولئك السجناء المهتدون أكثر تأهيلاً من كثير من المسلمين المستقبليين الذين لم يدخلوا السجن أبداً .

لم يكن الدخول في جماعتنا في سهولة الانضمام إلى كنيسة مسيحية إذ لا يكفي أن يعلن الواحد أنه مسلم ثم يستمر في نفس حياة الرذيلة وعدم الأخلاقية القديمة ، على المسلم أولاً أن يغير ما بنفسه جسدياً وخلقياً حتى يستوفي قوانيننا الأخلاقية الصارمة وأن يحافظ على ذلك إذا أراد أن يبقى مسلماً . لم يكن يعقد اجتماع في معبد إلا ويجد المنستر أمامه بعض الرؤوس المحلوقة بالموس حديثاً لبعض المسلمين الجدد بين الحضور . لقد هجروا إلى الأبد ذلك الشعر المصطنع المكوي بمحلول القلي الذي يبدو كالمعدن ، أو « العملية » كما يسميها البعض في هذه الأيام . يؤلمني أن تجد في أي مكان تذهب إليه علامة الجهل واحتقار النفس تلك على رأس كثير من الزنوج . قد يجرح هذا شعور بعض أصدقائي من غير المسلمين الذي يكوون شعورهم ولكنك إذا تمعنت في أي زنجي شعره مكوي بالمحلول ستكتشف أنه جاهل ومهما كان المظهر الذي يتخذه أو ما يقوله عن نفسه فإن من يقلي شعره كذلك تشبها بالبيض ، إنما يعلنها صارخة أنه يخجل من زنجيته . سيكتشف صاحب ذلك الشعر ، مثلما اكتشفت أنا ، أنه عندما يجد بعض العزة في سواده فسيزيل ذلك العبث من رأسه ويترك الشعر الطبيعي الذي وهبه الله للسود كما هو .

التدخين محرم على المسلمين وتلك قاعدة أخرى من قواعد السلوك عندنا وقد كان هجر التدخين أصعب على بعض مسلمي المستقبل مما كان هجر المخدرات على بعض المدمنين . كثير من الرجال والنساء السود كان يسهل عليهم ترك التدخين حينما نشير إليهم أن الدولة تهتم بالبلايين التي تجمعها من الضرائب أكثر من اهتمامها بالصحة العامة . كما نسأل المسلم المستقبلي « ماذا يدفع الجندي لخارطوشة سكائر ؟ » كان ذلك يوضح له أنه مقابل كل خارطوشة سكائر يشتريها بالثمن العادي كانت الدولة تأخذ منها دولارين من حر مال الرجل الأسود (هي الفرق بين الثمن العادي وما يدفعه الجندي الذي يشتريها بدون ضريبة) .

قد تكون ، أيها القارئ ، قد قرأت عن برنامج أمة الإسلام لمعالجة مدمني المخدرات المزمنين فقد كتب عن ذلك البرنامج كثيراً . في حقيقة الأمر كتبت صحيفة **نيويورك تايمز** في إحدى المرات قصة عن كيف أن بعض منظمات الرعاية

الاجتماعية طلبت مساعدة ممثلي المسلمين لتعينها في معالجة المدمنين . كان برنامجنا لمعالجة الإدمان يبدأ بالتأكيد على وجود رابطة بين لون البشرة والإدمان إذ أن تركز أكبر عدد من المدمنين في نصف الكرة الغربي في هارلم ليس مصادفة . أول عناصر برنامجنا كان العمل الشاق الدؤوب الذي يقوم به المدمنون السابقون من المسلمين . كان المسلمون من هؤلاء يتصيدون المدمنين في الجيتو الأسود من بين معارفهم القدامى ثم يبدأون معهم برنامجاً يتطلب صبراً مراً يتكون من ست نقاط ويستغرق فترة قد تمتد من عدة أشهر إلى سنة .

أول هذه النقاط كانت بأن تجعل المدمن يعترف لنفسه أنه مدمن . ثانياً كان المدمن يلقّن السبب الذي يجعله يتعاطى المخدرات . ثالثا كان يوضح له أن هناك طريقة لهجر الإدمان . في المرحلة الرابعة تبدأ عملية إعادة بناء احترام المدمن لذاته وإعادة الثقة بالنفس له حتى يؤمن بأنه يمتلك بداخله قوة الإرادة التي تجعله يهجر الإدمان . في المرحلة الخامسة يقوم المدمن من تلقاء نفسه بالتوقف كلية عن تعاطي المخدرات . النقطة السادسة والأخيرة كانت تتم عندما يشفى المدمن تماماً وعندها على المدمن الذي شفى لتوه أن يواصل الحلقة ويذهب للبحث عن مدمن آخر من معارفه ويشرف على إنقاذه .

هذه النقطة السادسة مهمة لأن فشل منظمات الرعاية الاجتماعية سببه أن المدمن لا يثق بها ويعاديها بينما بإمكانه الثقة بالمدمنين السابقين . في تلك الحالة يعرف المدمن أن الذي يحاول مساعدته مدمن سابق مثله وربما كان صديقاً شخصياً سابقاً له شاركه السراء والضراء ولربما كانا لصين يسرقان سوياً . قد يرى المسلم صديقه المدمن متكئاً على حائط وهو يغالب النوم فيتقدم إليه ويخاطبه بلغة المدمنين .

مثله مثل مدمن الخمر لا يستطيع مدمن المخدرات أن يبدأ في علاج نفسه إلا عندما يعترف بحالته الحقيقية . يقوم المسلم بدور الطبيب ويضرب على وتر معين «إنك مدمن يا صديقي» وقد تنقضي عدة شهور قبل أن يواجه مدمن المخدرات مشكلته ولا يبدأ برنامج العلاج إلا عندما يحدث ذلك . الخطوة التالية تكون تفهم المدمن لسبب تعاطيه المخدرات . يستمر المسلم يجري خلف هدفه وقد يقوده ذلك إلى مجاهل غريبة في الجيتو لا يعلم أحد بوجودها وقد يجمع عشرة أو أكثر منهم ويحكي لهم عن وضعهم وما يجعلهم يستمعون إلى ذلك المسلم المهذب ذي الهندام المشذب النظيف هو أنه ليس إلا واحد منهم هجر ذلك الطريق.

كل من يتعاطى المخدر يتهرب من شيء ما . يشرح لهم المسلم ذلك كما يقول لهم: إن معظم المدمنين من بين السود يتعاطون المخدرات لينسوا وضعهم كسود في

أمريكا الرجل الأبيض حيث الرجل الأسود لا يساوي شيئاً .

يخاطب المسلم المدمنين كصديق ويأسرهم بصراحته : « دادي ، إنني أدرك ما تشعر به . ألم أكن معكم في نفس الوضع أهرش جلدي مثل القرد ورائحتي منفرة ، أعيش كالمجنون جوعان أسرق وأختبئ من الرجل الأبيض ؟ قل لي يا صديقي ، لماذا يشتري رجل أسود المخدر من الرجل الأبيض ليثري الأخير ونهلك نحن ؟ » وعندما يكون المدمن جاهزاً يخبره المسلم بأن خير طريق لخلاصه هو الانضمام لأمة الإسلام وقد يُدعى إلى المطعم الإسلامي أحياناً ويصادف وربما يتعرف على مسلمين طاهري البدن ، تبدو النظافة منهم والافتخار ، يتعاطفون مع بعضهم البعض ويظهرون الاحترام والود لبعضهم بدلاً مما يراه كل يوم من العداء والأنانية في الجيتو والشوارع . وقد يسمع المدمن اسمه مقروناً « بالسيد » و « المستر » و « الأخ » لأول مرة من سنوات . لا أحد يسأله عن ماضيه وحينما يذكر إدمانه ، يكون ذلك بعفوية وكتحد خاص عليه مواجهته وكل من يقابله يشعره أنه سيتغلب على مشكلته .

مع زيادة احترام المدمن من المحتم أن يبدأ يؤمن أن بإمكانه التخلص من تلك العادة ولأول مرة يبدأ الإحساس بالاعتزاز كونه أسود . تلك توليفة قوية لشخص كان يعيش في الوحل ومن يجد في نفسه مثل ذلك الحافز لا يفوقه أحد في مقدرته على تغيير ما بنفسه لأنه كان في القاع . أخيراً ، وذلك أهم شيء ، يقرر المدمن بنفسه أنه يود أن يهجر المخدرات كلية . ذلك يعني أنه على استعداد لتحمل العذاب الجسدي الذي يحدثه التوقف الفجائي عنها . عندما تصل الأمور إلى تلك المرحلة يرتب الطلقاء وقتهم حتى يكون أحدهم معه في دوريات على مدار الساعة للاعتناء بالمدمن الذي قرر تطهير نفسه في الطريق لأن يصبح مسلماً .

عندما ينقطع المدمن عن المخدرات يبدأ في الصراخ والسب والاستجداء : « حقنة واحدة فقط ، أرحموني! » حينها يكون المسلمون بجواره يتحدثون إليه باللغة التي يفهمها : « ارم ذلك القرد من على ظهرك ! اركل تلك العادة القبيحة ! اقذف الرجل الأبيض من على ظهرك ! » يكون المدمن حينها يتلوى من الألم ، عيونه ترشح وأنفه ترشح وهو يتصبب عرقاً من رأسه إلى أخمص قدميه ، كما يحاول أن يضرب الحائط برأسه ويرفع يديه محاولاً مقاومة القائم بمراقبته ثم يبدأ في الغثيان والمعاناة من الإسهال . « لا تبق على شيء ! دع الأبيض يذهب ! ستقف بعدها شامخاً يا رجل وكأني أراك الآن مع شباب ثمار الإسلام ! ».

عندما ينتهي ذلك الامتحان الصعب وعندما تتحطم قبضة المخدر يقوم المسلمون بتطبيب خاطر المدمن وإطعامه المرق والخبز حتى يقف على رجليه مرة أخرى وفي المستقبل لن ينسى أولئك الأخوة الذين وقفوا بجانبه في وقت الشدة . لن ينسى أبداً

أن خلاصه تم بواسطة برنامج أمة الإسلام الذي أنقذه من جحيم المخدر ولن يعود ذلك الأخ الأسود (أو الأخت التي تشرف على رعايتها أخوات مسلمات) إلى تعاطي المخدرات مرة أخرى إلا في النادر . بدلاً من ذلك وعندما يجد المدمن السابق إنه شفي وتجدد داخلياً وأصبح نظيفاً فخوراً تجده لا يستطيع الانتظار قبل أن يتصيد صديقاً سابقاً من غابة الإدمان وينقذه .

إذا قام بمثل برنامج محاربة المخدرات الناجح هذا ، رجل أبيض أو جماعة سوداء مقبولة لديه ، لوجدوا الدعم الحكومي والثناء والأضواء ولكن بدلاً من ذلك كانوا يهاجموننا . لماذا لا تدعم الدولة المسلمين حتى يوفروا لها ملايين الدولارات كل عام . لا أدري كم تخسر أمريكا من جرائم المدمنين ولكن يقال أن مدينة نيويورك وحدها تخسر البلايين سنوياً بسبب ذلك وأن حي هارلم يخسر ١٢ مليون دولار كل عام بسبب السرقات وحدها .

المدمن لا يعمل لكي ينفق على إدمانه الذي قد يكلفه من عشرة إلى خمسين دولار في اليوم وهو لا يستطيع كسب ذلك فماذا يفعل ؟ إنه يسرق ويحتال بطرق أخرى ويهجم على الآخرين مثل النسر والصقر – مثلما فعلت أنا في السابق . وعادة ما يكون المدمن قد ترك الدراسة مثلي ورفضه الجيش وغير مستعد نفسانياً لأي وظيفة حتى ولو عرضت عليه – مثلي تماماً .

أما المدمنات من النساء فإنهن يسرقن من المتاجر أو قد يبعن أجسادهن وكانت أخواتنا المسلمات يتحدثن إليهن بشدة ليطهرن أنفسهن ويتأهلن للانضمام للمسلمين : « إنك بذلك تؤكدين للرجل الأبيض أن جسدك وعاء للصديد ! ».

كثير من الكتابات التي « تكشف » المسلمين توحي بأن أتباع مستر محمد أساساً مدمنون وسجناء سابقون وفي البداية كان ذلك صحيحاً فقد أتى عدد كبير من أتباعه من قاع المجتمع . وكان مستر محمد دائماً يوجهنا بأن نجري خلف من هم في الوحل وكثيراً ما قال لنا أن من يهتدون منهم يصبحون من خير المسلمين .

لكننا بدأنا تدريجياً في تجنيد السود الآخرين – « المسيحيين الطيبين » الذين كنا نصطادهم من أمام كنائسهم ، ثم بدأ عدد أعضائنا المتعلمين والمؤهلين ونسبتهم تزيد بيننا . ومع كل تظاهرة أو اجتماع نعقده في أي مدينة ، كان ينجذب نحو معبدنا عدد من يسمون « بزنوج الطبقة الوسطى » في تلك المدينة ، نفس النوع الذي كان في الماضي يسخر منا وينعتنا « بالمسلمين السود » أو « الدهماويين » ورسل البغضاء وكل تلك الأوصاف . كانوا عندما يسمعون كلمة الحق الإسلامية ويفكرون فيها ينضمون إلينا وبأعداد متزايدة شباباً ورجالاً ونساءً ، وكان لدى

أمة الإسلام مكان لمن عنده تدريب أو موهبة .

كان بيننا مسلمون يخفون حقيقة إسلامهم حفاظاً على وظائفهم في عالم الرجل الأبيض ، وعدد منهم لم يكن يدري بحقيقة إسلامهم سوى إلايْجا محمد وأئمته .

في عام ١٩٦١ ازدهرت حركة أمتنا وحملت صحيفة **محمد يتكلم** في صفحتها الأخيرة رسماً هندسياً بملء الصفحة للمركز الإسلامي المقترح إقامته في شيكاجو بتكلفة قدرها عشرون مليون دولار وكان كل مسلم يقدم مساهمة مالية شخصية لبنائه . كان يحتوي على مسجد جميل ، مدرسة ، مكتبة ، ومستشفى ومتحف يعرض بالوثائق التاريخ المجيد للرجل الأسود .

زار مستر محمد الدول الإسلامية وعند عودته أمرنا أن نسمي معابدنا بالمساجد بدلاً من معابد .

كذلك بدأ عدد محال المسلمين التجارية يتزايد بسرعة شديدة . كان الهدف منها هو أن نبرهن للسود ما يمكن أن يؤديه السود لأنفسهم إذا اتحدوا وباعوا واشتروا من بعضهم فقط وبقدر ما تسمح الظروف ولا يستأجرون إلا من بني جنسهم وبذلك تبقى أموال السود في المجتمع الأسود مثلما تفعل الأقليات الأخرى . كذلك بدأت تسجيلات أحاديث مستر محمد تذاع من عدة محطات إذاعية صغيرة في أرجاء أمريكا المختلفة . وفي كل من شيكاجو وديترويت كان أبناء المسلمين الذين في عمر الدراسة يلتحقون بجامعة الإسلام – حتى الثانوي العالي في شيكاجو والثانوي العام في ديترويت . وابتداءً من الروضة كان الأطفال يدرسون عن تاريخ الرجل الأسود المجيد ثم يبدأون وهم في الصف الثالث في تعلم لغة الرجل الأسود الأصلية : العربية .

في ذلك الوقت كان جميع أبناء مستر محمد الثمانية منخرطين بشدة في وظائف مهمة في أمر الجماعة وكنت أشعر بالفخر لأنه كانت لي يد في ذلك ، على الأقل في بعض الحالات وقبل ذلك بسنوات – عندما جعلني مستر محمد منستر في خدمته كنت أشعر أنه من المخجل أن يستمر أبناؤه في خدمة الرجل الأبيض كما كان بعضهم يفعل في المصانع والمباني وقيادة عربات الأجرة . شعرت أن علي أن أخلص لأسرته كإخلاصي له وألححت عليه أن يدعني أقوم بحملة صغيرة في مساجدنا الصغيرة لجمع الأموال حتى يستطيع بعض أبنائه الذين يعملون عند الرجل الأبيض أن يتوظفوا داخل أمة الإسلام . وافق مستر محمد ونجحت حملة جمع الأموال وبدأ أبناؤه العمل لدى أمة الإسلام بالتدريج . اليوم يعمل إيمانويل ، أكبرهم ، كمدير لمصنع التنظيف بالبخار والأخت إيثل (محمد) شريف تعمل كرئيسة للمعلمات المسلمات (زوجها رايموند شريف ، هو القائد الأعلى لشباب ثمار الإسلام.) أما الأخت لوتي محمد فتشرف على جامعتي الإسلام . ويعمل ناثانيل محمد مساعداً

لايمانويل في معمل التنظيف بالبخار . أما هريرت محمد فهو حاليًا الناشر لصحيفة **محمد يتكلم** التي كنت أنشأتها في السابق وأخوه إلايْجا محمد الصغير هو مساعد قائد شباب الإسلام . أما ولاس محمد فهو إمام جامع فيلادلفيا إلى أن علقت عضويته معي لأسباب سأخوض فيها لاحقاً ، ويدرس أصغر أبناء مستر محمد ، أكبر محمد ، في جامعة الأزهر بالقاهرة وهو أيضاً سينفصل عن أبيه مستقبلاً .

أدى ماراثون الخطب والأحاديث الطويلة المتتالية في تظاهراتنا الكبيرة إلى أن تسوء حالة مستر محمد الصحية فجأة وترهقه الأزمة الصدرية . كان يبدأ في السعال فجأة أثناء الحديث العادي وتشتد حدة السعال حتى يهتز جسده كلية . بدأ يرسل من ينوب عنه أحياناً ويلازم هو السرير كما وأصبح يضطر إلى إلغاء مواعيد محددة مسبقاً للحديث في اجتماعات كبرى بالرغم من إصراره على الحضور وحزنه لعدم تمكنه من ذلك . كان الآلاف من الحضور يصابون بخيبة أمل عندما يجدون أنهم سيستمعون إليَّ أنا أو أي بديل آخر لمستر محمد .

بدأ أفراد أمتنا في القلق كما أن الأطباء نصحوه بالبقاء في طقس جاف فاشترت الأمة منزلاً لمستر محمد في مدينة فينكس بولاية أريزونا . وفي إحدى زياراتي له هنالك ما نزلت من الطائرة إلا وفاجأتني أضواء آلات التصوير فاستغربت فيمن خلفي وعندما نظرت رأيت سلاح المصورين . كانوا من شرطة مباحث أريزونا . بعد مدة شاع الخبر السار أن طقس أريزونا أراح مستر محمد كثيراً وخفف من عذابه وصار بعد ذلك يقضي أغلب السنة في فينكس .

وبالرغم من أن مستر محمد وهو في طور النقاهة لم يكن ليستطيع أن يستمر يعمل الساعات الطوال مثلما كان يفعل وهو في شيكاجو ، زادت عليه أعباء اتخاذ القرارات والمهام الإدارية . كانت الأمة قد كبرت وتوسعت ، داخليا وخارجياً ، ولم يعد مستر محمد بقادر على إعطائها الوقت الذي تتطلبه ليقرر أي محاضرات عامة أحضر أنا وأي مقابلات إذاعية أو تلفازية أقبل ، بالإضافة إلى بعض الأمور التنظيمية التي كنت دائماً أراجعه فيها لينصح أو يوجه .

أراني مستر محمد أنه يثق فيَّ فطلب إليَّ أن أتخذ القرارات بنفسي في الأمور التي ذكرتها وأن علي أن أحكم عقلي وأختار ما أرى أنه في صالح أمة الإسلام .

قال لي مستر محمد ذات مرة : الأخ مالكوم ، أريد لك أن تصبح مشهوراً ، لأنك إن أصبحت مشهوراً ، سأصبح أنا أكثر شهرة . ولكن هنالك شيء يجب أن تعرفه . عندما تشتهر سيحقد عليك كثيرون لأن الناس عادة تغار من الشخصيات العامة ».

ليست هنالك من بين ما أسر لي به مستر محمد نبوءة تحققت مثل تلك المقولة .

مالكوم اكس
مع مارتن لوثر
كنج زعيم
الاتحاد الزنجي

مالكوم إكس
مع رالف باش
مساعد السكرتير
العام للأمم المتحدة
(مفاوض أول هدنة
عربية ـ اسرائيلية
١٩٤٨)